محاضرة:

نواميس التعدد اللهجي

ثانيا: نشأة اللهجات

حظت اللّهجة باهتمام الباحثين اللغويين على اعتبارها من الميزات الرئيسة وأهم الأنشطة الاجتماعية لدى الإنسان، فكان لموضوع نشأتها الشغلُ الشاغل منذ القدم.

ولنا نظرتان إلى اللهجة أوّلها بحدها اللغوي أي اللسان فنستطيع الحكم بأنها وجدت مع وجود الإنسان لقوله تعالى:" **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا** " (البقرة31)، وثانيها بوصفها تلك الصفات اللغوية تنتمي لمجوعة من الأفراد في بيئة معينة أو ذلك التباين والتمايز اللهجي الموجود على المستويات الصوتية والصرفية والتركيبة والدلالية، فكان لنشوئها وتكونها أسباب وعوامل جعلتها تنقسم بهذا الشكل التي هي عليه، وسنحاول إجمالها فيما يأتي:

أ- العوامل الجغرافية:

العامل الجغرافي له دور في خلق اللّهجات وهذا ما أيده عبد الواحد وافي بقوله:" تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق في الجو وطبيعة البلاد وبيئتها وشكلها وموقعها وما ذلك وفيما يفصل كل منطقة منها عن غيرها من جبال وأنهار وبحار وبحيرات...فلا يخفى أنّ هذه الفروق والفواصل الطبيعية تؤدي عاجلا أو آجلا إلى فروق وفواصل في اللغات"[1] فيؤدي ذلك إلى وجود لهجة تختلف عن لهجة أخرى تنتمي إلى اللغة الواحدة، ففي الغالب جغرافية التضاريس تؤدي إلى نشوء اللّهجة وتعددها كوجود جبال فاصلة بين منطقتين منخفضتين فيستقر بكل منطقة جماعة من

---

[1]- اللغة والمجتمع، عبد الواحد وافي، دار إحياء الكتب العربية، ط2، 1370هـ/1951م، ص132.

الناس يتحدثون لهجة تخالف غيرهم[2] كالذين يقطنون في بيئة زراعية ممطرة يتكلمون لهجة غير التي بتكلمها الذين يعيشون في بيئة صحراوية[3]، والأمر نفسه مع البيئة الباردة والحارة والمعتدلة وغيرها، وعليه أنّه متى اختلفت البيئات الجغرافية فإن ذلك حتما سيؤدي إلى نشوء اللهجات.

ب- العوامل الاجتماعية:

وفي كتب اللغة وجهات نظر متعددة تشير إلى أن العوامل بتكوين اللغة العامة في الدراسات التي لُوحظ فيها العوامل الاجتماعية تؤثر تأثيرا فعالا في نشأة اللهجات فهناك لهجات خاصة للطبقات المجتمعية المتعددة، فلهجة الطبقات الغنية، ذات الجاه والنفوذ والسيطرة السياسية واختلافها عن لهجات طبقات العمال والجنود والتجَّار والزراع ولهجة المهندسين وغيرها من ألوان اللهجات التي تناسب كل الفئات والتي نطلق عليها باسم اللّهجات الاجتماعية[4].

ت- احتكاك اللغات (الصراع اللغوي):

يُعد هذا العامل من أهم الأسباب في نشوء اللهجات، فيحدث بين اللغات ما يحدث بين أفراد الكائنات الحية وجماعاتها من احتكاك وصراع وتنازل على البقاء وسعي وراء الغلبة والسيطرة، وتختلف نتائج هذا الصراع بين اللغات باختلاف الأحوال فتكثر مظاهره كلما طال أمد احتكاك اللغتين وكان النزاع بينهما عنيفا والمقاومة قوية من جانب اللغة المقهورة وتقل مظاهره كلما قصرت مدة الصراع أو خفت وطأة النزاع، أو كانت المقاومة ضعيفة من جانب اللغة المغلوبة.[5] ومنه يتضح أنّ اللغات تؤثر وتتأثر بعضها بعض نتيجة الاحتكاك، وهذا الأخير له دوافع منه ما هو اجتماعي وثقافي وديني واستعماري وتجاري فيتسع مجال اللغة وتنشأ بذلك لهجات جديدة تتباين فيما بينها. وقد استقر المحدثون من علماء اللغة على أن احتكاك اللغات واختلاطها

---

[2]- ينظر، قضايا في الدرس اللغوي، نادية رمضان، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، دط، 2001، ص128.

[3]- ينظر، حاتم صالح الضامن، فقه اللغة، دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل، دط، 1990، ص46.

[4]- ينظر، علم اللغة بين القديم والحديث، عبد الغفار حامد هلال، جامعة الأزهر، مصر، ط2، 11406هـ/ 1986م، ص 102، 103.

[5]-ينظر، علم اللغة، علي عبد الواحد وفي، المرجع السابق، ص109.

نتيجة لغزو و هجرة وتجارة، ولنا أمثلة عديدة وشواهد تاريخية نذكر منها على سبيل الحصر في اللهجات العربية وكيف استطاعت أن تصارع لغات عدة في مهدها، فتركت القبطية قبل زوالها أثارا في العربية المصرية كما تركت البربرية أثارا في عربية بلاد المغرب العربي.[6]

ث- العوامل السياسية:

وتتعلق بظروف البيئة واستقلالها السياسي وطبيعة نظام الحكم المتبع فيها وما تعلق منها بضعف السلطة المركزية مخلفة بذلك انقسامات في نواحي البلاد و انقسام الدولة إلى دويلات، فانفصال أي دولة عن غير وإتباعها مذهبا وتوجها سياسيا سيتسبب حتما في ذلك الانقسام والتشتت للوحدات الفكرية واللغوية وبالتالي نشوء اللّهجات.[7]

ج- العوامل الفردية:

نذكر منها الاختلاف في أعضاء النطق، "فحناجرنا وحبالنا الصوتية وألسنتنا وحلوقنا وسائر أعضاء نطقنا تختلف عما كانت عليه عند أباءنا الأولين"[8]، حيث هذا الاختلاف يعد السبب المباشر في اختلاف اللّهجة من شخص إلى آخر حسب العادات النطقية والمميزة وعليه" اختلاف الأفراد في النطق يؤدي مع مرور الزمن إلى تطوير اللهجة أو إلى نشأة لهجات أخرى"[9]. وأيضا من العوامل نذكر "الأخطاء السمعية وسقوط الأصوات الضعيفة فقد يحيط بالصوت بعض مؤثرات تعمل على ضعفه بالتدريج كوقوعه في آخر الكلمة وزيادته عن ببنيتها وعدم توقف المعنى المقصود عليه، فيتضاءل جرسه شيئا فشيئا حتى يصل في عصر ما إلى درجة لا يكاد النطق تبينه فيها السمع فحينئذ تكون عرضة للسقوط"[10] فيتغير النطق وتخلق لهجة جديدة.

ح- العوامل الشعبية:

---

[6]- ينظر، في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، 2003، ص 23، 25.

[7]- ينظر، علم اللغة، علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص 175.

[8]- المقتضب في لهجات العرب، محمد رياض كريم، التركى، طنطا، مصر، دط، 1417هـ/1996م، ص 65.

[9]- اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 1996، ص39.

[10]- المقتضب في لهجات العرب، محمد رياض كريم، المرجع السابق، ص67.

وتتمثل في اختلاف الطبيعة البشرية من فروق فالأجناس والفصائل الإنسانية التي ينتمون إليها، والواضح أنّ لهذه الفروق آثارًا بليغةً في تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات.[11]

وفي المقام نفسه نجد اللغوي **علي عبد الواحد** يذكر عوامل أخرى تختلف لنشأة اللهجات إضافة إلى العوامل الجغرافية والاجتماعية والفردية واحتكاك اللغات وعوامل أخرى، هذه العوامل هي[12]:

1-اختلاف أعضاء النطق باختلاف الشعوب، فمن المقرر أن هذه الأعضاء تختلف في بنيتها واستعدادها ومنهج تطورها تبعا لاختلاف الشعوب والتي تنتقل بطريق الوراثة من السلف إلى الخلف.

2-التطور الطبيعي المطرد لأعضاء النطق، فمن المقرر أن أعضاء النطق عند الإنسان في تطور طبيعي مطرد فبنيتها ومنهج أدائها لوظائفها.

3-سقوط الأصوات الضعيفة، فقد يحيط بالصوت بعض المؤثرات تعمل على ضعفه بالتدريج كوقوعه أخر الكلمة، فيكون حينئذ عرضة للسقوط.

4-موقع الصوت في الكلمة يعرضه الكثير من صنوف التطور والانحراف وأكثر ما يكون ذلك في الأصوات الواقعة في أواخر الكلمات.

5-تناوب الأصوات المتحدة النوع والقريبة المخرج، وحلول بعضها محل بعض فكل صوت لين عرضة بطبعه للانحراف إلى صوت لين آخر، وكل صوت ساكن عرضة إلى صوت ساكن متحد معه في مخرجه أو قريب منه.

6-تغير مدلول الكلمة في انتقالها من السلف إلى الخلف فكثيرا ما ينجم عن هذا الانتقال تطور في معاني المفردات، ويساعد على كثرة استخدام بعض المفردات في غير ما وضعت له عن طريق المجاز.

إذن تلك هي أهم أسباب نشأة اللهجات وانفصالها عن اللغة الأم واختلافها عن شقيقاتها، فكانت الأسباب الجغرافية والاجتماعية والفردية والشعبية والاحتكاك اللغويين أهم عوامل إيجاد اللهجة قديمها وحديثها.

---

[11]- ينظر، المرجع نفسه، ص65.

[12] - ينظر، علم اللغة، علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص 106، 109، 113.

خاتمة

إن دراسة نواميس التعدد اللهجي تكشف عن طبيعة اللغة العربية الديناميكية وتوضح كيف تطورت اللهجات العربية بتأثير العوامل الجغرافية والاجتماعية والسياسية وغيرها، مع الحفاظ على الوحدة اللغوية الكبرى التي تتيح فهمًا أفضل للشواهد القرآنية والشعرية والنقوشية، وتسهم في إعادة بناء الخريطة اللسانية للعربية القديمة، ويبرز التعدد اللهجي كآلية طبيعية للتكيف اللغوي، يعكس ثراء اللغة العربية ومرونتها عبر التاريخ.